

تطوّر النهضة الثقافية

في الشام والمجتمع العِلمي اللبناني

الأستاذ محمد محيي الدين

(بيان)

الحملات الصليبية

لقد دعا كل من البابا سلفستر الثاني في سنة 393 هـ - 1002 م والبابا غريغوريوس السابع في عام 468 هـ - 1075 م ملكه أوروبا وأصحاب الاقطاعات لتخلص بيت المقدس . ولكن دعويهما ذهبتا أدراج الرياح . حتى إذا ما شب الخصم بين الأسرة السلجوقية بعد سقوط السلطان ملوكشاه وثبت العرب بينما بعد نحو مثرين سنة من هابن الدعوين كانت صرخة ناسك نقير هناك كافية لجمع كلمة الأوروبيين من أجل انتزاع قبر المسيح . وقد حملوا على بلاد الشام ثمان حملات كانت أولاًها في سنة 409 هـ - 1096 م ، والأخيرة في سنة 669 هـ - 1270 م .

ويبين هذه وذلك استقرار الصليبيين في بلاد الشام مدة طويلة ، وتسللوا على بيت المقدس إلى أن تصدى لهم ، عقب الحملة الصليبية الثالثة ، صلاح الدين الايوبي سلطان مصر والشام 532 - 589 هـ ، ثم 1137 - 1193 م وأخرجهم من فلسطين وما حولها ، ثم كان العمالق البحريون خلفاء الايوبيين بمصر سبب صد الحملات الصليبية الأخرى من مصر ، وأخرجاها من كافتها بلاد الشام .

غير أن هذه البلاد ظلت نحو جيلين دار حرب نكسه فيها سوق العلم والأدب ، ولو لا الحاجة الماسة إلى العلوم الدينية لأنصرف الناس عنها أيضا . هذا نفلاً من كون أكثر بيوت العلم قد اقتلت في تلك الحقبة وإن الكتابات قد أحرقت بفعل تلك العرب . وحسبنا أن نذكر أن مكتبة طرابلس التي أحرقت في مهنة الصليبيين ، أو أحرقواها ، كانت على ما قبل تحفل

كثيراً ما لاحظت أن الباحثين في موضوع تاريخ الثقافة العربية يغفلون عن ذكر المجتمع العلمي اللبناني ويعد ذلك إلى قلة السنين التي تھاماها ، والى تصريحنا ، نحن اللبنانيين ، في تدوين أعماله . وهي أعمال غير قليلة بالنسبة لعمره .

وقد رأيت أن اثنان من هذا التعمير على ان اتخذ هذه المناسبة فرصة لعرض ناحية مهمة في تاريخينا ، وأعني بها ناحية تطور نھاستنا الثقافية في بلاد الشام على مر العصور حتى الآن وذلك ب بصورة موجزة تتناول الخطوط الكبرى بحسب رابطة الاسباب بالأسباب .

العالم العربي خلال ثلاثة قرون

لما وضعت كتابي «العرب والترك في صراع بين الشرق والغرب» الذي صدر سنة 1957 جملت هذا العنوان منواناً للفصل الثالث منه . حيث يبيّن بالأدلة أن القرون الثلاثة التي تبدأ بطلع القرن الثامن اليهودي وتنتهي بختام القرن العاشر كانت قروناً ذات طابع مركب في العالم ، سواء أكان ذلك في التواهي السياسية والتجارية والصناعية أم في التواهي الصناعية والزراعية والثقافية ، وأنها كانت كلها تقضي من معين الحضارة العربية . لم جملت منوان الفصل الرابع «أين من سادوا وشادوا وبنوا؟» ذلك الفصل الذي تناول انهيار المرب ، وتقلب الاعاجم عليهم إلى أن استأثر بالحكم آل عثمان . وليس المجال هنا قسيساً للتبسيط في جميع اطراف هذا الموضوع ، وإنما أكتفي بالناحية الثقافية منه ، وبالخطوط البارزة من هذه الناحية فقط ، وذلك نتيجة للأحداث السياسية .

بثلاثة ملابس مخطوطة . وكل ذلك كان من اسباب ذيول الحضارة العربية في المشرق .

ال العملات المغولية

دجلة كتبها وكانت ، على قول مجلة الهلال م 19 من 392 ، « شيئاً لا يعبر منه » ثم لما استتب له الامر فيها سبب جنوده الى نزع الشام ، وقدتمكنوا من الاستيلاء عليها حتى بلغوا فرة ، غير انهم لم يتعرضوا للثغور التي كانت لا تزال في حوزة الصليبيين ، وأهمها انطاكية وبالا وعكا . أما لظالمهم فيها ولاسيما في حلب فعلى قول ابن البري تجاوزت الجد الذي ارتکبوه في العراق . وكان اشدتها تعرضهم للمكتبات التي كانت زينة الحضارة العربية وقوامها .
نتائج العملات الصليبية والعروبة المغولية في النهاية الثقافية

ان الملوك اذا دخلوا قرية جعلوا علىها سافلها نيفني القول ان بلاد الشام كانت دار حرب تتناوشها من الشرق والغرب طوال ثلاثة قرون ونصف القرن اي من مطلع القرن العادي مشر للميلاد الى اواسط القرن الثالث عشر يكفي هذا القول لتقدير سوء احوالها المادية والمعنوية فضلاً من الثقافية . ولاسيما اذا اضفنا الى ذلك العروبة الداخلية بين الاسرة السلاجوقية ، ثم بين آل زنكي وآل ايوب ، ناهيك بالفتنة الطائفية بين السنة والشيعة . فكان من حوصلة كل ذلك اندرس المكتبات ، واقتصر المدارس ، وضياع الاوقاف الحجية على تلك المدارس والاعمال الخيرية ، وتعطيم الاقلام وتقلبيس القراء على ان هذه الكوارث لم تنتهي بانتهاء القرن الثالث عشر ، وإنما استمرت وبرزت على اشدتها في مطلع القرن الخامس عشر بحملة بیمور لشك التركي على آل عثمان وعلى بلاد الشام فنفضت على البقية الباقي من معالمها الثقافية .

وتتجدر الاشارة هنا الى ان العلم كان قد التجأ بعد سقوط بغداد الى مصر وسوريا . وقد رمأه الايوبيون بمصر والمالิก بعدهم نازدهم بمصر ، واتعشى ببلاد الشام التابعة لهم الا انهم طاردوا الفلسفة ولاحقوا ذويها . وفي ذلك الحين تناولت حلب علم الرهامة الثقافية من دمشق حتى قام فيها على رواية محمد كرد على في خطط الشام « ثلاث مدارس للطب ومدرسة الهندسة » ولكن هذه المدارس وغيرها تضت عليها حملة بیمور لشك فاضامت الشهباء ازدهارها .

ومع كل حال فلولا تلك النهاية العلمية التي برزت بمصر خلال حكم بنى ايوب وخلفائهم المالiks وشخوص الطلبة السوريين لتلقى العلم ولاسيما في

وجاهات النكبة الثانية على الحضارة العربية من المشرق فاوتد بها . فلن فحصون العرب الصليبية خف المغول الى اكتساح بلاد الشام . وهم قوم فراة كانوا ينزلون في منشوريا بين نهرى سنکاري والایرس طالما هددوا الصين ، وتمرضوا لها حتى اضطر احد اباطرها شى هنخ تی لتشييد السور الكبير ، ابتداء من سنة 240 الى 210 ق م ليكون سداً بين بلاده وبين هؤلاء المنشوريين . وهو على ما ثبت بكتابي « الانحاد السوفياتي والصين الشعبية » كانك تراهمما « بعد زيارتي له هو نفس سد ذي القرنين الذي ورد ذكره في القرمان الکريم . غير ان هذا السور لم يقو فيما بعد على دفع هارات المغول ، بل ان ملکهم جنکیزخان الذي انشأ امبراطورية كانت تمتد من بحر اليابان الى بحر فزوین فقد تمسأه الى العين وفرض على حكومتها الشرقية جملة لقاء حراسة الحدود ، كما ان ولده کوبیلاي نقل عاصمة بلاده من فرة كروم الى بكين .

وكان جنکیزخان يرنو بعين الطمع الى بلاد الاسلام لما بلغه من خيراتها وعمرانها لم يعلم من تنازع ملوك الترك في اطرافها ، بالإضافة الى ضعف الخلفاء الصابريين الذين لم يترك لهم هؤلاء الامامين الا السلطة الروحية ؛ فتقدم اليها حتى استولى على تركستان . ولكن الاجل عاجله قبل ان يدرك امتهنته من البلاد العربية . ولما بويع الغان منكو بن طولي سنة 1246 م مهد الى قائد هولاکو فتح بغداد ، كما مهد الى قادة « اخرين اكتساح اقاليم اخرى .

وقد ارسل هذا الغان وفداً الى لويس التاسع ملك فرنسا في قبرص ، وهو قائد الحملة الصليبية السابقة . يدعوه فيها للاتفاق بينهما على المسلمين ، كما ان عطف هولاکو على التنصاري - الا كانت امس وزوجته مسيحيتين - اغري البابا اسكندر الرابع بدعوته الى اجتماع دين المسيح لقاء وعد منه بمساعدته على المسلمين ، ولكن هولاکو استنكر هذه الدعوة وبقى على دين بوذا وعلى الرغم من وحدة الهدف بينهما فلم يصل الى توحيد العمل وانما انتصرت الملاقات بينهما على التواد والتعاطف .

ولما دخل هولاکو بغداد سنة 656 هـ - 1258 قتل المغول ما يزيد على مليون رجل فيها والقسوا في

واما الشعب فلم يكن احد منهم يهتم به . وهو ، وفي مقدمته العرب ، كان قد استيقظ بالثماس مع العالم الغربي بالدارس والتجارة والهجرة ، واصبح توافاً للمعرفة ومجاراة الركب العالمي فلم يسمه الا الاقبال على المدارس التبشيرية المختلفة التي انتشرت في كل مكان ملاوة على المدارس الخاصة التي انشأها الطوائف . ثكانت العادة ان رعايا السلطة العثمانية ، الذين هم في الاصل لا يشكرون وحدة قومية ، امسوا كثلاً متباعدة الاهداف في السياسة ، ومتباينة في النطاق الملي . وكل ذلك افسى في النهاية الى متاعب واجهتها السلطة عجلت برواها .

ومن دمى لئما في ارض مسبعة
وغاب منها تولى زمامها الاسد

النهاية الثالثية الحديثة في الشام :

اثر اختلاط الغرب بالمسلمين^١ في بلاد الشام والأندلس ومقبلة ، وفي اعقاب هجرة علماء يزرنطة الى بلادهم بعد فتح العثمانيين حاصتهم القسطنطينية سنة 857 هـ - 1457 م انتفع الغرب انتفاضة جبارية خلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر ، وكانت منطلقاً لحياة جديدة في الاجيال اللاحقة . ولم تقتصر نهضته على الناحية الثقافية ، وإنما تناولت الشؤون الاقتصادية ، وتركزت على القوة العسكرية . ولكن الغرب على الرغم من انصرافه الى بناء مطرد لم ينس ابداً بيت المقدس . وآية ذلك ان ملك اسبانيا فيليب الثاني افتتح فرصة وجود الامير فخر الدين المعني الثاني في ميائته بمقبلة وذلك في مطلع القرن السابع عشر ، ليعرض عليه التعاون معه على طرد العثمانيين من البلاد المقدسة . ولكن على الرغم من خصومة الامير لمؤلاه ابن واستنكر وفضل العودة الى بلاده على التواؤط مع الاجانب على دولته ، وعلى مقدساته .

ثم لما جاء عهد الاستثمار وانتقلت المبادرة الى الدول الاوروبية ظلت فلسطين مائلة امام اعين هذه الدول ، ولاسيما حين تدامت السلطة العثمانية ، واصبحت كل واحدة منها تسمى لأن تؤمن نفسها من اوث الرجل المريض .

وقد وضعت اعتمادها على الارساليات التبشيرية التي كانت بثابة طلائع جيش الفتح لأن هذه الارساليات لم يكن يعتمد اليها التبشير بواسطة المدارس فقط ، وإنما كانت تعمل كمدارس

ازهر مهودها لاندرست الثقافة في بلاد الشام ، ولما بقي فيها عالم او اديب بالمعنى الصحيح . وعلى الرغم من ان كثرة العلماء امسوا فيها من العشوبيين الذين يختارون في التأويل الغريب المدسوس على الصريح المقول ، ومن ان اكثر الادباء امسوا يعنون بالالفاظ الرنانة والعبارات المنمرة دون المعنى ، ودون توجيه الشعب للبناء والانطلاق فان البلاد لم يدركها القحط الكل ، بل ظهر فيها من العلماء والادباء نفر اربع لمن ان يتمتعوا بالشهرة كابن مساكي المتوفى سنة 616 هـ ، وابن الفارض 645 ، وابن الایسر 637 ، وابن تيمية المولود سنة 661 .

عهد السلطة العثمانية :

كان من المفروض في بني شيشان الدين اتيح لهم ان يقيموا امبراطورية عظيمة على اقاضي المالك العربية وعلى اقاضي الامبراطورية البيزنطية التي كانت في ذلك الممر منارة العلم في الغرب ، كان من المفروض ان يستغلوا مخلفات هاتين الامpires وان يعطوا العالم حضارة جديدة او ان يسيراً على الاقل في مواكب التمدن الحديث . ولكنهم باشتمام سلطانهم الاولين الذين قلدوا الخلفاء العباسيين برعاية العلم والادب ، وتحلوا بما اصرعوا من كل ذلك الى حروب كانت غايتها في البداية التوسيع في اوروبا ، وكان هدفها في النهاية الحفاظ على مكاسبهم الغربية ، ثم الدفع منها تجاه الانحاد الاوربي المقدس الذي ابرم ضدهم . وبهذا وذاك ظلوا بعيدين عن العلم والادب ، مما حافظوا على ما ورثوه من العرب ، وما اقتبسوا التمدن الحديث من الغرب الا بعد ان اشرفت دولتهم على الانهيار . على انهم ما ان ذكروا في وجوب الخروج من نطاق الجهود وباسروا الاصلاح حتى كان هدفهم ينحصر في الشؤون العسكرية لائشاً السلطان مصطفى الثالث (1757 م - 1774) مدرسة الفنون الغربية . ولكن السلطان محمود الثاني (1808 م - 1839 م) اتيح له القضاء على الاتكشارية ، هذه الطففة التي كانت تقف في وجه التجدد ، حتى مدد الى الانطلاق في سبيل الاقتباس من اوروبا . وفضلاً من بنائه المعهد الطبي باسطنبول فقد اوند بعثة من الطلبة للتخصص في معاهد اوروبا . كما ان خلفاء شرعوا يعنون بالولايات . ولكن عنايتهم هذه كانت لا تتجاوز انشاء مدارس اعدادية وعسكرية كانت غالباً منها اعداد الموظفين للحكومة ، واعداد الفطباط للجيش .

والغيرة منها ، ولكن الوضع العثماني لم يكن يشجعهم ولذلك اضطروا في البداية إلى اللجوء للتعاون مع الإنجانب ، الذين كانت تعفيهم الامتيازات من أجل تأليف الجمعيات الناشدة . وقد الف بعض علماء بيروت وادبائها سنة 1858 بالتعاون مع بعض المسلمين الأميركيين « الجمعية العلمية السورية » التي كانت غايتها الاهتمام بنشر المعرفة وخدمة الأدب نعاشت نحو سبع سنين . ثم لم تلبث أن ماتت للحياة في عام 1867 ، وأصدرت مجلة باسم مجلة مجموع العلوم . ولكنها لم تعش طويلاً .

ومن أعقاب ذلك تبدل الوضع في سوريا حينما نصب مدحت باشا الملقب باباي الدستور والبا علىها سنة 1829 م . فهو الذي كان يطبع بالاستقلال في بلاد الشام على فرار خديجي مصر بتشجيع من فرنسا شرع يتحبب إلى أهلها فاطلق لهم شيئاً كثيراً من الحرية . وكان الجو الذي بدأ في أيام ولادته وما بعدها مشحوناً ببعض أهل العلم والأدب من البروتينيين لأن يؤلفوا المجمع العلمي الشرقي سنة 1881 بالاستقلال عن الإنجانب . ولعلم اختاروا هذا الاسم لجمعتهم من قبل التمثال بالأوروبيين ومجامعهم العلمية . ولكن هذا المجمع لم يكمل العاشر من العمر . فاتبرى بعد ذلك المطران يوسف الدبس لإنشاء الدائرة العلمية المارونية برئاسته . ولم تكن أطول عمراً من سباقاتها . ذلك بأن السلطان عبد الحميد الثاني 1876 - 1909 لم يكن يرتاح للتكلبات الشعبية . الامر الذي أدى إلى انحلال الجمعيات الخيرية أيضاً . وفي مقدمتها جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية . ولو لا أن جمعية شمس البر الأدبية كانت تستند إلى رعاية الأميركيين وجماعتهم لما عاشت حتى الحرب العالمية الأولى 1914 - 1918 . ولا بدغفلقد كان مهد هذا السلطان شديد العذر من مؤامرات الدول الأجنبية التي كانت تحاك حوله . وإلى ذلك فلم يكن يطمئن لشعبه الذي تخرج في المدارس الأجنبية .

وهذا الخوف من الداخل والخارج حمله على التشديد في المرانة والمعاقبة على الشبهات أحياناً . من ذلك أن شاعراً بيروتياً ، واظنه مصباح البربر نظم قصيدة فزلية كان مطلماً :

أن حبي كل يوم في ازدياد

والهوى يأتي على غير المراد

فتقامت قيامة الولاية في بيروت ، وانتصب

استخبارات لتسهيل الفتح ، والامداد له بشتى الوسائل ومهمها يكن من أمر فان هذه الارساليات التي ترجع اولاًها إلى عهد الامير فخر الدين المعني الشار إليه فانها ولا شك ملئت بعث نهضة ثقافية في سوريا ، ولا سيما في لبنان رافقتها نهضة تجارية واجنبية .

ثم كان لاحتلال نابوليون بونابرت لمصر سنة 1213 هـ - 1798 م اثر كبير في نهضة الشرق العربي ذلك لأن هذا الفاتح الكبير استطاع منه لوادي النيل بعثة علمية فنية كانت حافلة باشهر علماء فرنسا ، فوضعت التصاميم الاصلاحية وقامت ببعض المشاريع العملاقة التي كانت فيما بعد منطلقاً لنهاية هذا المشرق الحديثة في عهد الاسرة العلوية ، وخدوبيها ولا سيما في لبنان الذي ساهم إيناؤه في النهضة المصرية .

النهضة الثقافية في لبنان :

منذ زمن الأوروبيين بطباعة الكتب العربية وترجمتها في مطلع القرن الخامس عشر بأدروا للاستعمالية ببعض المثقفين من اللبنانيين ، ولا سيما رجال الأكليروس . فانتقل هؤلاء إلى روما والى أكثر الموارم الغربية والجنوبية ، وساهموا فيما بأعمال الترجمة والطبع والتدريس وقد تولى نفر منهم الوظائف . وسرعان ما كان ذلك حافزاً لهم وللمتخلفين منهم للالتفات إلى وطنهم ، فأنشأوا في عام 1042 هـ - 1632 م المدرسة الأولى في قرية حوقه ، والثانية في حلب عام 1073 هـ - 1662 م وكانت أولى المطبع تلك التي استجلبها البطريرك الناسفوس دباس إلى حلب في مطلع القرن الثامن عشر . والثانية مطبعة الراهب العلبي عبد الله زاخر في دير مار يوحنا الطبطة في الغشارة في لبنان ، وفي فضول سابق الدول الأجنبية إلى فتح المدارس التبشيرية في المدن والقرى في كل من ولاية بيروت ومنتصريه في لبنان وغيرهما أدرك البربريون ، وعلى رأسهم رجال الدين محبة ترك تربية أولادهم لسواء نفخت كل طائفة منهم لإنشاء المدارس الوطنية .

وكان من نتيجة انتشار العلم في الساحل السوري على وجه عام ذلك الاقبال الشديد الذي برز من قبل مثقفي الشعب على المزيد من فتح المدارس وأصدار الصحف ، وانشاء المطبع ، وقراءة الكتب وتاليفها . وقد رافق هذا الاقبال ميل من الشعب لتأليف الجمعيات ولاسيما الأدبية

وفي التاسع من شهر اذار 1928 الشع
المجلس اعماله بحضور الشيخ بشارة خليل الخوري
رئيس الوزراء الذي كان وزيراً للتربية الوطنية ،
وانتخب مكتبه التنفيذي على الوجه التالي : الشيخ
عبد الله البستاني رئيساً ، والشيخ احمد مطر
المحماني ، والاستاذ وديع مقل ، معاونين للرئيس .
وقد اخذ الجميع في اول الامر وزارة المعارف
وال التربية مقراً له ، ثم انتقل الى دار الكتب الوطنية ،
ووالى اجتماعاته فيما الى ان استقل في داره
خاصة .

وقد حالت بعض الاصاباب دون اشتراكه
السادة عبد الله البستاني والاب لويس ملوف ،
والاستاذ عيسى الملعوف ، والشيخ محمد الحسيني
والشيخ حسن مفتية في جلسات الجمع الاولي
قرر اعتبارهم اعضاء مراسلين وانتخب بدلاً عنهم
السادة : الشيخ على زين ، والخوري جرجس
شنيوي « الذي اصبح من بعد مطران السرايا
بدمشق » ، وجرجس صفا ، واسد رسم ، ومحمد
جميل بهم . ونتيجة لهذا التبدل اجتمع الجميع في
25 تشرين الاول 1928 وانتخب الاستاذ وديع مقل
رئيساً له ، والباس بك لباضن والشيخ ابراهيم
المندر معاونين وذلك لمدة عام . وقد وضع الجميع
خلاله نظامه الداخلي .

ولما ارفق موعد الانتخاب في السنة التالية ،
وشعرت السلطة ان نية اكبر اعضاء الجمع منصرفة
لانتخابي للرئاسة تحركت فوراً لاني كنت من اشد
المعارضين للبنان للانتداب ، والمناديين بالوحدة
العربية . وقد عهدت الى الشيخ بشير الخوري
المندوب من وزارة المعارف للإشراف على الانتخابات
السعى لتوجيه الامضاء الى تجديد الرئاسة للاستاذ
وديع مقل ، وذلك في جلسة الانتخاب المحددة في
18 تشرين الاول 1929 ولما باوت مساميه بالفشل
تحول بكلته الى ، وشرع يقتفي بالتخلي من الرئاسة
للأستاذ مقل لسنة اخرى على ان اعلن ذلك لرملاني .
فكان جوابي له : اني لم اكلف احداً منهم ان ينتخبني ،
كما اني لا اعلم من هو المرشح منه كل منهم لكييف
يسوغ لي من بعد ان اطلب منهم ان لا ينتخبي
لرئاسة واهرض نفسى لقول قال : من
اخبرك اني مزمع ان اصوت لك ؟ . ولما استولى عليه
الباس اجل الانتخاب ريشما يقابل نسيبه الرئيس

المiran . لماذا ؟ – لأن للسلطان اخا اسمه مراد كان
قد اتهم بالخبل نغلع وبوبع السلطان عبد الحميد
مكانه . ومن هنا اتهم الشامر بأنه يعرض بالعامل
المخلوع وسيق للمحاكمة .

وفي هذه كهذا ليس من المتظر ان تتألف
الجمعيات ، واذا تألفت لم يكن من المقدر لها ان تعيش .

المجمع العلمي اللبناني :

حفل لبنان في صدر القرن المشرقي بحملة
الشهادات العليا من خريجي المعاهد والمدارس الموفورة
فيه ، ومن خريجي جامعات الغرب . ولما أصبح له
بيان سباسي في مهد الانتداب الفرنسي بالقائسون
الاساسي والحكم الدستوري اتجهت انظار الطبقة
المثقفة فيه الى ان تكون له هيئة تمثل وجه وطنها
الثاني ، وذلك بإنشاء مجمع علمي اسوة بسوريا منذ
عام 1919 . وكان الشيخ ابراهيم المندر الاديب
الكبير عضواً في المجلس النسبي اللبناني فثار هذا
الموضوع . ثم كانت له وفقات حوله قوية خلال عام
1927 سرعان ما اقررت فرقه من ان الانتداب الذي كان يشجع
النشود على الرغم من ان الانتداب الذي كان يشجع
اللغة العامية في لبنان ضمن نطاق بعيد عن شقيقائه
لم يكن راضياً عن هذا العمل . واستناداً الى قرار
المجلس المذكور أصدر رئيس الجمهورية الاستاذ
شارل ديباس قانوناً بإنشاء مجمع على لبناني وذلك
في 20 شباط 1928 هابته المحافظة على اللغة العربية
ورفع شأنها ، والعناية بالباحث والاعمال المتعلقة
بأصولها وأداتها والمحافظة على الآثار ، ودراسة
تاريخ لبنان وحضارته ، وغير ذلك مما يتعلق بإدارة
الشؤون العلمية وتنظيمها . وأصدر مرسوماً آخر
بتعيين السادة الآباء اسماؤهم اعضاء لهذا الجمع :
الشيخ ابراهيم المندر ، والشيخ عبد الله البستاني ،
والشيخ امين تقى الدين (١) ، والشيخ منير
مسيران ، والشيخ محمد الحسيني ، والاستاذ بولس
خولي ، والبطريخ المخاطيروس الرام الرحماني (٢)
والشيخ عبد الرحمن سلام ، والخولي بولس عبود ،
والاستاذ وديع مقل ، والاستاذ اليساس لباضن ،
والشيخ احمد مطر المحساني ، والاستاذ عيسى
اسكندر الملعوف ، والاب لويس الملعوف ، والشيخ
حسين مفتية .

(١) وهم من الشائخ المدنين الذين تحمل اسرهم هذا اللقب .

المحصاني ، والشيخ عبد الرحمن سلام ، وجرجس بك صفا .

وقد قامت هذه اللجان بما عهد اليها على خير وجه في جو من التعاون والوثام ورفعت الى المجتمع تقاريرها لتكون أساساً للبحث والاقرار ، ومن ثم لتنفيذ .

تقرير اللجنة الإدارية :

تناول التقرير الأوضاع العلمية والإدارية في البلاد العربية ولا سيما لبنان كما تناول إنشاء المجمع العلمي اللبناني وأعماله منذ نشاته حتى ذلك التاريخ ، وأشار إلى ما عقد العزم على تحقيقه لى تلك السنة وما بعدها . ولا سيما في حقل توثيق العلاقات بين بعض الجامعات العربية الأخرى . كما أنه أشار إلى رأسها دعوة المجتمع العربي العام في باريس .

تقرير اللجنة اللغوية :

بعد ان أكد التقرير ضرورة التعاون مع سائر الجامعات العلمية العربية ، وبعد ان أشار إلى آراء طائفة من اكابر كتاب العرب بشأن اصلاح اللغة توصلت اللجنة الى الاستنتاج بأن هؤلاء على خلاف في وجهة المدير . فبينما يقبل بعضهم ما يقرره الآباء المعينون باللغة فإن البعض الآخر كان يرى أن للمجتمع وحدها الحق في وضع الكلمات الجديدة . وقال التقرير في التعليق على ذلك بناء على ما تقدم رأى المجتمع العلمي اللبناني قبل ان يجرم في هذا الشأن ان يتندب رئيسه الحالي الاستاذ جميل بهم ليقصد مصر . ومصر اليوم قلب العالم العربي النابض . وبينما لا يجاد صلة بين الهيئات اللغوية والجامعات العلمية في الأقطار العربية تميداً لمقدمو مؤتمر عام يجتمع في كل سنة لأجل التعاون والتفاهم على الطرق السوية لترقية اللغة العربية . ولقد سافر الاستاذ الرئيس الى مصر لمقابل وزیر المعارف ، وصاحب الدولة مصطفى النحاس باشا ويسطع لها مهمته فلقي منها الارياخ الشام . تم اخذ بيت الدعوة بين جمهور المفكرين العاملين . وساعدته على ذلك بعض اهل الفضل والوجاهة بما عقدوه من حلقات لهذه الغاية . وقبل مغادرته مصر تائفت لجنة في القاهرة من كبار مفكريها وعلمائها جعلت منها السعي لتحقيق هذه الغاية . ولم يطرأ المهد حتى نقلت إليها الصحف الشرقي بإنشاء المجتمع المصري للثانية العلمية وترقية اللغة العربية »

الشيخ بشارة الغوري . ولم يلبث الا قليلاً حتى هاد حاملاً إلى بشري الود بتعيني وزيراً للمعارف والتربية الوطنية اذا تخليت عن رئاسة المجمع . فقلت له متبساً انت تعلم يا شيخي اني لست من طلاب الوظائف ، كما تعلم ايضاً ، مما نشرته الصحف في جبني ، اني كللت باشغال مناسب عالية من قبل فرفضت التعاون مع المهد ، فكيف تزيدني التحول الآن من مبدئي ؟ فيما وسع البشير الا السكت على مضمون . ولما جرى الانتخاب يومئذ اسفر من احراري معظم الاموات للرئاسة ، ومن انتخاب الشيخ ابراهيم المذر والاستاذ سعيد مقل معاونين لها . وهنا مجال للثنوية بالاستاذ مقل هذا الرجل الوطني الوهوب ذلك لأنه تعاون معى في نطاق خدمة المجتمع وكان شيئاً لم يقع من قبله . وكرس جريدته الراسد للتكلم بلسانه .

وكان أول عمل باشره المجمع بعد ذلك تطبيق نظام الداخلي الموسوع في العام الفائت يتوزع تقسيمه افضائه على اربع لجان هي مهد الى كل منها ان تعمل بجد ونشاط ضمن نطاق المهمة الموكولة إليها وهي :

اللجنة الاولى « الإدارية » ومهنتها القيام بالاعمال الإدارية ، وتحضير الموارنة المالية كل عام . وكانت تتألف من السادة : محمد جميل بهم ووديع عقل وابراهيم المذر .

اللجنة الثانية « اللغوية » ومهنتها التدقق في وضع الكلمات والمصطلحات للمعانى العلمية الجديدة والسميات الحديثة . والتعاون مع المجتمع العلمي العربية الأخرى توصلًا لوضع معجم يوفى حاجة مصر . وكانت تتألف من الشيخ منير سيران ، والشيخ ابراهيم المذر والباس بك فياض والشيخ أمين تقي الدين .

اللجنة الثالثة « لجنة التاريخ والجغرافيا » وعهد إليها بالإضافة إلى التحقيقات التاريخية وضع معجم جغرافي للبنان على اسلوب علمي حديث . وكانت تتألف من الاساتذة اسد رشم ، وبولس الخولي . والخولي جرجس ستيبي . والسيد على الزين ومحمد جميل بهم .

اللجنة الرابعة « لجنة المخطوطات » وعهد إليها بوضع احصاء عام للمخطوطات العربية في الجمهورية اللبنانية . وترتيب تدوينها على طريقة علمية تسميلاً لراجعتها . وكان قوامها الشيخ احمد مر

والفرنسية في بيروت . نطلبنا إلى حضرة الاب هنري لامساليسومي أن يتولى كتابة المقدمة التي تتعلق بجغرافية لبنان التاريخية ، والتي الاب جبرائيل لوفنك أن يكتب مقاله في جغرافية الجبل الاقتصادية كما أنا وفينا إلى بعض أسلاتة الجامعة الأمريكية في بيروت ، وهم الفريد داي ، وبولوي بيرون ، والدكتور ويليم فاندريك الكتابة في جيولوجيا لبنان ومناخه وحيواناته ونباته وبياته . وأما القسم الأكبر من العمل في هذا المعجم ، وهو جمع حقائق عامة في الجغرافيا والتاريخ من البلدان والقرى والمزارع اللبنانية ، وترتيب هذه الباحث وتنسبها وفضليها فقد شرمت به هذه اللجنة وطبعت جداول تمهدية لوضع القاموس العام . وفي كل منها حقوق متعددة لتناول المدن والقرى وعدد النفوس فيها ، والمداهش ، والنهار والينابيع والجبال والمناجم ، والمعابد والمقامات والمعامل والماهنة العلمية ، ومواطن الآثار ، وأهم الحالات الزراعية والمنشآت الوطنية إلى غير ذلك من الشؤون مما امكن الإصطياف ، ورفتنا هذه الجداول إلى وزارة الداخلية الجليلة لتامر بتوزيعها على المحافظين والمديرين والمختارين في الجمهورية اللبنانية . وتمت أميدت الجداول المذكورة معاً ، ومهماً بها إلى هذه اللجنة لتصحح ما يحتاج التصحح . وتنسبها .

للتقرير لجنة المخطوطات العربية القديمة :

أشاد التقرير إلى الصعوبات التي تعرّض من ينقب عن هذه المخطوطات ، ولا سيما لأن أكثرها كان موزعاً على مكتبات خاصة لم تعمل بعد أيدي الباحثين للتحري عنها . وأكثرها لم يدرس معروفاً لم يثبتت اللجنة أنها بدات باحصاء ما في مدينة بيروت ، وإنها ستشرع من بعد في البحث مما يوجد في غيرها من المخطوطات حتى إذا اكتمل العمل تنظم منه معيماً محبطاً ليشمل الرجوع إليه على أن يشمل هذا المعجم إشارة إلى موضوع كل كتاب . والآن الزمن الذي وضع فيه ، وإذا كانت له مذكرة أخرى . وختتم اللجنة التقرير بذكر ما أحصته في مكاتب بيروت الكبرى من المخطوطات فكان كما يلي :

مكتبة الجامعة الأمريكية :

رسالة 134 و 183 مجلداً

مكتبة الآباء اليسوعيين :

رسالة 44 و 245 مجلداً

وبعد أن أشار التقرير إلى البيان الوافي الذي وضعه سنة 1928 الشیخان عبد الرحمن سلام ، وأحمد عمر المصانی في كتبة المحافظة على اللغة العربية ، وأوجزه بما ورد في الختام : « لذلك نرى أن باب الاستئناف في اللغة العربية يجب أن يفتح على مصراطيه توصلًا إلى استخدام الأفعال والصفات المتعلقة بها حسب مقتنيات مصر ، فيتسع بذلك مجال الأنشاء ، ولا يعاني طلاب العلم والكتاب ما يعانون من المشاق والصعاب » . وممض يقول : « وستنظر فوق ما تقدم في أصول اللغة ، أي قواعدها الأساسية المتخلدة حجة لصحة الكتابة والإنشاء . وهي في كل فرع من فروع الصرف والنحو والmorphos والبيان وغيرها لا تزال على حالها منذ وضعها الأولى لم يطرح منها باب ، ولا مدت قاعدة لذلك شق تحصيلها على طلابها لأنهم رزحوا تحت أعبائها ، وضموا بين المؤلفات الضخمة ، والأراء المتباينة ، والقواعد المقدمة التي يجب أن تطرح من كتب اللغة تسهيلاً لتناولها . ولا يخفى ما في تحقيق هذه الأمينة من المسؤولية تجاه المتعلمين . ونحن نتوخى في كل حال المحافظة على مظمتها ونمايرها الشاملة مستعينين باتصالها المدققين العالمين الشاربين في مشارق الأرض ومغاربها » .

للتقرير لجنة التاريخ والجغرافيا :

أشاد التقرير إلى اهتمام اللجنة بتاريخ لبنان وجغرافيتها ليقف المواطن على أحوال بلاده وقوتها مسجحاً ويلم بكل ما فيها من المعالم والآثار بالإضافة إلى تراجم كتاب اللبنانيين الذين تركوا خير ذكر في العلم والآداب أو الواجهة مع العمل البناء ثم مفسّر يقول :

« لما كان العالم العربي في الشرق والغرب في حاجة إلى المجامع الكاملة عن بلاده ترى اللجنة أن يعني الجمع في بهذه أعماله ، نهاية خاصة ، بوضع معجم جغرافي لجميع البلدان والقرى والمزارع والنهار والجبال في الجمهورية اللبنانية ، وأن يكون لهذا المعجم الجغرافي مقدمات عامة في جغرافية لبنان السياسية والاقتصادية والتاريخية مصحوبة ببعض مباحث في جيولوجيا لبنان ومناخه ونباته وحيواناته وذلك بالاستعانة بفريق من أساتذة الجامعات في الولايات المتحدة الأمريكية

عربية على ان يجعل من هذا النادي دارا للمحاضرات
ومحجا لطلاب المعرفة .

الفاء المجمع العلمي اللبناني :

كان بين الاكاديميين اميل اده والشيخ بشارة الخوري تنافس على الرياسات في مهنة الانتداب وبعده . فلما خلف الاستاذ اده الشيف بشارة على رئاسة الوزارة ، وهو رائد من رواد ملة لبنان واعتماده على فرنسا لم ترق له اتصالات الجمع العلمي اللبناني بالجامع العلمية والذرية العربية . لذلك فوجيء الجميع في مهنة برسوم صادر عن رئاسة الجمهورية مؤرخ في 3 شباط 1930 يقتضي بالفائه تحت ستار التوفير على الخزينة . فكان لهذا الرسم اثر سره ، ولا سيما على اعضائه الذين كانوا يوفون الخدمة حقها ، ولا يريدون جراء ولا شكروا ؛ فقدموا استدعاء الى وزارة الداخلية بطلب الترخيص لهم لتابعة العمل باسم الجمع المذكور دون الاعتماد المالي . ولكن المجمع افتقر فيما بعد الى التوقف لأن مؤسسة كهذه عليها ما عليها من التفقات لا يطول عمرها اذا لم تمدتها الحكومات بالمساعدة . ثم ما برح اعضاء المجمع ، الذين كانوا يشمرون بالفراغ . يطالبون باعادته . وقد استجاب لهم المجلس التأسيسي عام 1944 . وقرر تخصيص مبلغ من المال لامادة المجمع . ولكن الحكومات المتتابعة ضربت صفحها عنه فقضى نحبه هكذا قبل القطا .

وفي هذه المناسبة يطيب لي ان اذكر ان مكتبة المخطوطات في داري تحتوي على 41 مخطوطه بعضها ليس له نسخة ثانية في المكتبات الأخرى .

الإمام في خدمة العرب والعربيّة

وقد استمع الجميع الى تقارير لجائه ونائبه ، وحيث اعضاءها على المزيد من النشاط حبا بالقيام بالتظاهرة الملقاة عليهم على غير وجه . وقرر في الجلسة التي عقدها يوم 29 اذار 1929 تكريفي بيان اتصل بالجمع العلمي العربي بدمشق من اجل التماسون على تحقيق فكرة المؤتمر اللغوي العام الذي كنت دعوت له في مصر فانجزت ما تقرر .

هذا وكانت جريدة البرق نشرت متلاعا لصاحبها الاستاذ بشارة الخوري افتراخ به على الجميع اكمال دائرة المعارف التي اصدر بعض اجزائها الاستاذ بطرس البستاني قبل حين فرحة الجميع بهذا الافتراخ وفوض الى اثنين من اعضائه : الشيخ عبد الرحمن سلام والاستاذ جرجس صفا ، للدرس هذا الموضوع ولبعض كل منهما تقريرا في الوسائل التي يمكن بها تحقيق هذا الافتراخ . وفضلا من ذلك فقد قرر انشاء ناد يشتمل على مكتبة هامة ، ومجلة

